محاربة الاستعمار في أعمال الكاتب الجزائري كاتب ياسين

طالب الدكتوراه أكبر ميركي پور
جامعة آزاد الإسلامية كاشمر، فرع كاشمر، إيران
Mirakipour226@gmail.com
الدكتور محمد شايگان مهر (الكاتب المسؤول)
الأستاذ المشرف، جامعة آزاد الإسلامية كاشمر، فرع كاشمر، إيران
SHaygan47@gmail.com
الدكتور محمد جعفري
الأستاذ المساعد، جامعة آزاد الإسلامية كاشمر، فرع كاشمر، إيران
D.m.jafari92@gmail.com

Fighting the Colonialism in the Works of Kateb Yacine, the Algerian Writer

Akbar. Mirakipoor
PhD student.IsLamic Azad University Kashmar , Branch Kashmar , Iran
Dr. Mohammad shayegan Mehr
Assistant professor of IsLamic Azad University Kashmar , Branch Kashmar , Iran
Dr. Mohammad Jafari
Assistant professor of IsLamic Azad University Kashmar , Branch Kashmar , Iran

الملخص:-

(كاتب ياسين ضمن أبرز الكتاب الجزائريين و أهمهم صيتا و مكانة أدبية، عاش حياة ضنكة و عاني التشرد في المنافي و المعتقلات. ولد كاتب ياسين يوم السادس من أوت سنة ١٩٢٩ بأحد أحياء مدينة قسنطينة شرق الجزائر، نذر جهده و إبداعه للنضال الوطني ومناهضة الإستعمار وقوى الظلم و قهر الشعوب.. تفجرت قريحة كاتب ياسين و هو لم يتجاوز سن السادسة عشر عن أول ديوان شعري له، و كان ذلك سنة ١٩٤٧، أجبرته الظروف الإجتماعية القاسية بعدها على الهجرة إلى فرنسا و استقر في باريس ليلتقي هناك بشخصيات جزائرية ثقافية و نضالية لم تقعدها ظروف المهجر عن تنظيم جلسات أدبية و فكرية و مناقشة القضايا الوطنية. في تلك الأثناء كانت رائعته نجمة تتلألأ في وجدانه و ما لبث أن عاد كاتب ياسين إلى الجزائر ليضع هذه الرواية التحفة التي اعتبرها النقاد قصيدة حب و عشق جارف للجزائر و لشعبها الرازح تحت نير المستعمر الغاشم.)

كاتب ياسين، مبدع أدمن النضال و التجديد، فلمع اسمه في سماء الأدب الجزائري، و ألهم أجيالا من الكتاب. ولج كاتب ياسين عالم الصحافة سنة ١٩٤٨، و اتخذ من جريدة الجمهورية التي أسسها صديقه الكاتب الشهير " ألبير كامو " منبرا لنشر مقالات الثورية الفاضحة لفظائع الإحتلال الفرنسي، و الداعية إلى تحقيق العدالة الإجتماعية و رفض الوجود الإستعماري، لم يكتف بنشاطه الصحفي فانضم إلى الحزب الشيوعي الجزائري و سافر إلى الإتحاد السوفيائي، ثم إلى فرنسا عام ١٩٤٥ ليعرف الرأي العام بقضية بلده و ما يكابده شعبه من انتهاك حريات، فاتخذ من قلمه سلاحا لمحاربة الإستعمار وتقويض مشروع " الجزائر فرنسية "، فكان لكتاباته أبلغ الأثر في إذكاء روح الثورة و زرع الحماس في نفوس أبناء شعبه التواقين للعدالة و الحرية. فهو الكاتب الثائر صاحب الكلمة الصادقة و النظرة الثاقبة، و المبدع الجزائري الوحيد في نظر الكثير من النقاد منهم حسن تليلاني الذي " فضح فرنسا الإستعمارية وعبر بقوة عن " القتل الرمزي " الذي مارسه الإستعمار في حق الجزائريين، و هو أشد و أنكي من: " القتل الحقيقي " المادي. ولم يغفل كاتب ياسين في كتاباته التطرق بعمق للقتل المعنوي " للهوية " الجزائرية.

ويرى نفس الناقد أن قضية التصدي لتشويه الإستعمار الفرنسي للهوية الجزائرية، كانت هاجسا مركزيا في أغلب كتاباته منها " النجمة "، " الجثة المطوقة " ، الأجداد يزدادون ضراوة.

الكلمات المفتاحية: مناهضة الإستعمار، محاربة الإستعمار، الكاتب الثائر، كاتب ياسين، النجمة.

Abstract:-

Among the Algerian scholars, kateb Yacine is one of the most prominent authors who played a significant role in fighting the French colonists. The Algerian revolution which was a reaction to the colonial policies, i.e. removal of Algerian identity, eliminating Islam and the Arabic language and culture, has grabbed the attention of numerous writers as one of the most important incidents in the history of Algeria. Meanwhile, Kateb Yacine, having political-social knowledge, joins the revolution and closely touches its incidents and leaves famous works such as Najma, the body with a ring on the neck, and circle of revenge novels as his legacy. The Najma novel is the manifestation of Algeria in the form a beautiful but sick woman with many problems. In other words, Najma is the symbol of Algeria injured and wounded by the colonial France. Also, the play "a body with a ring on the neck" recites the events of May 8, 1945. In which the Algerian people launched a massive protest against the French colonialism and Kateb Yacine also joined this protest which made him end up in the jail.

Key words: decolonization, rebellious revolutionary writer, Kateb Yacine, Najma.

المقدمـة:

كاتب ياسين روائي جزائري مشهور عالميا. كل كتاباته باللغة الفرنسية و هو صاحب أكبر رواية للأدب الجزائري باللغة الفرنسية و من أشهرها في العالم ((نجمة)).

ولد كاتب ياسين بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري من أوت سنة ١٩٢٩. بعد الفترة قصيرة تردد أثناءها على المدرسة القرآنية ثم التحق بالمدرسة الفرنسية و زوال تعلمه حتى الثامن من شهر ايار ١٩٤٨. شارك في مظاهرات ٨ مايو ١٩٤٥ فسجن و عمره لا يتجاوز ١٦ سنة.

بعدها بعام فقط نشر مجموعته الشعرية الأولى ((مناجاة)) دخل عالم الصحافة عام ١٩٤٨ فنشر - بجريدة الجزائر الجمهورية Alger Republican ألتي أسسها رفيقه الكاتب الفرنسي الشهير Albert camus ألبير كامو. إنضم إلى الحزب الشيوعي الجزائري و قام برحلة إلى الإتحاد السوفياتي ثم إلى فرنسا عام ١٩٥١.

ولم يقتصر الدعم الإنساني بجميع مظاهره لثورة الجزائر على منطقة جغرافية معينة، أو على فئة اجتماعية، أو طبقة ثقافية، أو حتى الدينية، بل جاء الدعم من أقصي القارة الآسيوية في الصين وآسيا، فضلا عن أندونيسيا والباكستان، ليشمل التأييد بالتنديد بجرائم الإستعمار الفرنسي، معظم الأحرار في أروبا و أمريكا، بدءً بالمثقفين الفرنسيين. والأمريكيين، و انتهاءً بالعمال و أمهات المجندين. لقد تنوعت مظاهر التأييد، والتمجيد لثورة الجزائر لدى كل الجماهير الشعبية في العالم.

الجزائر، ثورة المليون و نصف المليون شهيد، إن المقاومة المستمرة للشعب الجزائري وصمود المجاهدين وإخفاق الحملات العسكرية الإستعمارية، وإخفاق جميع الإجراءات السياسية الفرنسية و تعاطف عدد كبير من البلدان مع الجزائر، كانت كلها العوامل الأساسية التي مهدت الطريق لإجراء مفاوضات بين الجزائر و فرنسا، ولقد كانت هذه المفاوضات شاقة وبطيئة.

من عام ١٩٥٤، اندلعت ثورة التحرير الجزائرية التي قدمت أكثر من مليون ونصف مليون شهيد لتحيا الأجيال القادمة حرة على أرضها، ومع الذكرى الـ٦٣ تمتزج فرحة

النصر مع الحزن على غياب معظم البطولات عن ذاكرة الأجيال الحالية.

أعطيت نظرة تاريخية عن احتلال الفرنسيين للجزائر و عن الظروف التي تمّ فيها، تاريخ الجزائر بالرغم من التشويه و التعريف الّذي ألحقه الإستعمار الفرنسي به كما سنبين فيما بعد فقد ظل تاريخا معروفا للخاص والعام.

الإستعمار الفرنسي هو الطرف الوحيد الّذي أنكر هوية الشعب الجزائري، و جعل من ضمن مبررات غزوة للبلد أن الجزائريين لا يشكلون أمة واحدة ولا شعبا متجانسا، وإنّما هم كما حاول أن يصورهم عبارة عن أعراق مختلفة و قبائل متفرّقة ومتناجرة.

إفناء العنصر البشري للشعب الجزائري، عن طريق حرب مباشرة شاملة لا هوادة فيها، بجيوش جرارة، منظمة و مدربة أحسن تدريب، و مسلحة أفضل تسليح، يقودها ضباط محترفون و يضرم نيرانها جنود مرتزقة مهنتهم القتل، ضد الأهالي العزل في القري و البوادي و الأرياف، و في أسوأ الأحوال، بالنسبة للغزاة، في مواجهة مقاومة شعبية قليلة العدد والعدة، لا سلاح لها في الواقع إلا الصبر و الإيمان.(الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي) احمد منور.

إن دور الكتاب والأدباء دور هام في أية معركة، و بالأخص في معركة الجزائر. إن الكتاب و الأدباء العرب ساعدوا على نشر الثقافة العربية في الجزائر و إحياء ما استطاع الإستعمار الفرنسي أن يقضي عليه.

من أبرز هذا الكتاب و الأدباء، كاتب ياسين من جهته وقع في حيرة من أمره بين رسالته الإجتماعية، باعتباره كاتبا ملتزما يومن ب ((حتمية)) انتصار الثورة الإشتراكية العالمية، و يحتاج للتبشير بها في أوساط العمال و الفلاحين إلى لغة تواصل بينه و بينهم، و الحقيقة أن كاتب ياسين كان قد أحس قبل غيره من الكتاب الآخرين، منذ صباه المبكر، بالمأساة، و عبر عنها.

عمد كاتب ياسين في كتاباته إلى تعريه الأساليب الوحشية للإستعمار بطريقة رمزية، وسخر إبداعه للدفاع عن هويته، وتجلى ذلك من خلال دواوينه الشعرية وأعماله الروائية والمسرحية واستطاعت كتاباته المفعمة بالمشاعر الصادقة والروح الوطنية أن تفند التهم

والولاءات التي نسبها إليه بعضهم متغافلين عن دفاعه المستميت عن الهوية الجزائرية التي حاول الإستعمار طمسها. ويرى نفس الناقد أن قضية التصدي لتشويه الإستعمار الفرنسي للهوية الجزائرية، كانت هاجسا مركزيا في أغلب كتاباته منها "نجمة"، "الجثة المطوقة"، "الأجداد يزدادون ضراوة".

المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي:

(في اول نوفمبر ١٩٥٤ أعلن الشعب الجزائري ثورته العظيمة الّتي جاءت عقب سلسلة من الإنتفاضات المتتابعة، و بعد محاولات سلبية لم يكتب لها النجاح.

ولكن الموكد أن اعلان الثورة كان نتيجة حتمية للتطورات التاريخية التي بدأت ملامحها تبرز أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية حيث بدأت الشعوب المضطهدة في آسيا وافريقيا تتلمس طريقها، وتحاول أن تنفض الغبار وأن تستعبد حريتها، ومن هنا اكدت ثورة الجزائر - كغيرها من الثورات الإنسانية الكبرى انها تجربة من اكبر التجارب الثقافية الإنسانية، وذلك بما قدمته للشعب الجزائري من رصيد فوري و قيم معنوية رفيعة، فهي قد أثبت أصالة الشعب الجزائري و تشبثه بمباديء الحرية والعدالة)[١].

(منذ اللحظة الأولى لإحتلال فرنسا الجزائر ساد الشعور بين الجزائريين بالتضامن لمواجهة الإحتلال والقضاء عليه، و قد كان هذا الشعور يتمثّل في الإنضمام إلى الجماعات الدينية و الوطنية)[٢].

يعتبر الشعب الجزائري من الشعوب العربية التي كانت تعاني من سلطة الإستعمار ثم استطاعت أن تتخلص من هيمنته عبر الفداء و التضحية بالأرواح، فالمقاومة الجزائرية تعد

سلاحا ناطقا في وجه الإستعمار و صرخة مدوية و ثورة عارمة لإستنهاض روح الجهاد و التفاني في ابناء الشعب لتحقق الحرية و الإستقلال.

هذا البحث يقوم بدراسة ملامح المقاومة ضد الإستعمار في مولفات كاتب ياسين عن زوايا أدب المقاومة الجزائرية في مولفات هذا الكاتب و يبين لنا أن الإستعمار و الظلم و الإضطهاد الفرنسي هو السبب الرئيس لظهور المقاومة في أدب كاتب ياسين. فيثبت أن الوطن، و الدعوة إلى الثورة و النضال والدعوة إلى الوحدة، و تكريم الإستشهاد و الشهيد

و الأمل بالحرية، وفضح الإستعمار وتحديه والدفاع عن القضية من أهم ملامح الأدب المقاومة في مؤلفات هذا الكاتب.

أدب المقاومة في الجزائر:

إن الأدباء الجزائر قد توحّدوا مع شعبهم في مقاومته بحيث أصبحت الثورة تتويجاً و قمة للآلام التي كابدوها. و من هنا أصبح كتّاب الجزائر جزءاً رئيسياً من جبهة القتل.

و قال مالك حداد: ((إن مليوناً من القتلي الجزائريين يقفون أمام محكمة الإنسانية الكبرى ليشهدوا و يدينوا، أن مليوناً من الجزائريين الشهداء يتحدثون عن الحرية، وفي هذا الليل الطويل المدلهمّ بالمجازفات و البطولات التي تطوّعنا لها، نحن الجزائريين لم يضع مفهوم الحرية عندنا في ظلام التعريفات الميتافيزيقية.

فلم تكن الحرية بالنسبة لنا نحن كتّاب الجزائر نعمةً أو فضلاً، بل كانت امكانية عمل، إن الليل مهما يكن ثقيلاً و مهما يكن رهيبا لم يمنع العنادل من أن تغني و ليس ثمة قوة في العالم أوتيت من المحبة للحرية و الدفاع عنها مثلما أوتينا نحن))[٣].

وتأكيداً للبعد الإنساني في أدب المقاومة الجزائري، صدرت أعمال الأدباء عن اعتقاد بأن حرب الجزائر لم تكن حرباً عادلة و حسب، بل هي حرب من أجل المدنية. من أجل الحضارة. فلم تكن حرب الجزائر في الأدب الجزائري حرباً تحريرية فقط، بل أنها كانت حرباً من أجل الحرية و من هنا أعطي الأدب الجزائري المعبّر بالفرانسية للرأي العام الأدبي في العالم قيمة إنسانية قوبلت باحترام شديد، تتمثل هذه القيمة الإنسانية في أن أدباء الجزائر لم يبحثوا عن مفهوم الحرية في المعاجم و إنما بحثوا عنها في منحدرات، جبال (الأوراس) وفي شوارع القصبة و في مدينة الجزائر وفي ضواحي قسنطينة. تلك الأماكن الّتي و قفت تدافع عن الحرية كما وقفت سداً ضد الهجوم البريري الذي قام به ضدنا عالم يدّعن أن حرّ[٤].

حيث نتحدّث عن أبعاد المقاومة في القصة و الشعر نحاول أن نقوم بتعريف موجز بأهمّ الكتّاب الجزائريين الذين عبروا باللغة الفرنسية.

كاتب ياسين، المولد و النشأة:

(ولد كاتب ياسين و اسمه الحقيقي (محمد خلوطي) يوم أغسطس /آب ١٩٢٩ ببلدية زيغود يوسف ولاية قسنطينة عاصمة الشرق الجزائر)[٥].)

(تردد ياسين في صغره على المدرسة القرآنية بمسجد مدينة قسنطينة، لكنه بعد فترة وجيزة التحقق بالمدرسة الفرنسية بولاية سطيف و فيها تابع تعليمية حتى ٨ مايو / أيار ١٩٤٥، اليوم الذي ارتكب فيه المستعمر الفرنسي مجازر مروعة بحق الشعب الجزائري راح ضحيتها بحسب بعض الروايات أكثر من ٤٥ الف شهيد. و بسبب مشاركته في هذه المظاهرات تم القبض عليه بعد خمس أيام من انطلاقها و تم سجنه)[٦].

(و في سنة ١٩٤٦ أصدر كاتب ياسين مجموعة شعرية بالفرنسية أسماها: " نجوي " solioques) لفتت إليه أنظار الأدباء و النّقّاد في باريس و في سنة ١٩٤٧ رحل إلى العاصمة الفرنسية و مكث فيها تسعة شهور، و في سنة ١٩٤٨ أقام ثانية في باريس و نشر في مجلة " مركير دي فرانس " قصيدة عنوانها " نجمة ".

وفي سنة ١٩٤٩ عين مراسلا لصحيفة الجزائر الجمهورية (AlgerRepublicain) و ظل بها حتى عام ١٩٥٠ حين مات والده الذي أورثه ستاً من نساء الأسرة بعولتهنّ، فانتقل إلى فرنسا للبحث عن عمل يساعده في إعالة هذه الأسرة الكبيرة، و ظل فترة لا يكتب حتى استقرّ نوعاً ما، فبدأ يكتب و توالت كتاباته: " الجثة المحاصرة " ثم " نجمة " و استقبل الكتابان في فرنسا استقبالاً طيباً و لكن حرب التحرير في الجزائر ما لبثت أن نشبت، فغادر كاتب ياسين فرنسا م مضي اولاً إلى ايطاليا حيث أقام في فلورنسا أكثر من عام. و بعد هذه الرحلات الطويلة عاد إلى باريس.

وقد صدرت مسرحية " الجثة المحاصرة " عام ١٩٥٥ في مجلة " اسيري " وكان كاتب ياسين لا يزال مغموراً، فاكتشف النّقاد أن صاحب هذه التراجيديا على موهبة عظيمة. ثم صدرت روايته " نجمة " في عام ١٩٥٦. فوصف النّقاد ظهورها بأنه حدث أدبي)[٧].

(وكتب كاتب ياسين رواية أخرى هي " المرأة المتوحشة " ثم مسرحية " دائرة الإنتقام " وكوميديا " مسحوق الذكاء " وتراجيديا " الأسلاف يتميزون غضباً " وقد مثّلت بعض

مسرحياته في بروكسل وباريس في حديث له قال: ((أتكلم العربية وأكتب الفرنسية. وحتى عامي الخامس عشر كنت أعيش في الكتب، أما الشعب فكنت التقي به في الطريق دون أن أراه... وفي عامي الخامس عشر دخلت السجن. أما السجن فهو " مكان مشترك " فيه عرفت وفهمت)).

((أنا جزائري و لكن عبّرت بالفرنسية. كان لا بدّ من تعريف الفرنسيين بأنفسنا)).

ومن وراء القضبان و بعد عام أصدر ديوانه الشعري الأول بعنوان " مناجاة " ١٩٤٧ ليسخر قلمه بعد ذلك لخدمة لبلاده و مناهضة الإستعمار الفرنسي[٨].

إضاءات على حياته و تجربته[٩]:

كاتب ياسين، مبدع أدمن النضال و التجديد، فلمع اسمه في سماء الأدب الجزائري، و ألهم أجيالا من الكتاب. تمكن بفضل عبقريته الأدبية أن يثري الحقل الأدبي بأروع الأعمال الروائية و الشعرية و المسرحية، عكست في مجملها رهافة و حسا جماليا مميزا. اتسمت طفولته الأولى بالحرمان و المعاناة على غرار كل الشعب الجزائري، قضي مرحلة تعليمه الأولى في المدرسة القرآنية ثم درس في المدرسة الفرنسية إلى غاية عام ١٩٤٨، عايش جرائم الإحتلال و ذاق ويلاته فما كان منه إلا أن ينخرط في صفوف الشبيبة الجزائرية، و كان سنه عندها لم يتعد السادسة عشرة.

أنضجت معاناة السجن و القمع الإستعماري الذي عرفه إلى جانب أبناء شعبه تجربته الإبداعية باكرا فعزم على تسخير كتاباته الشعرية و المسرحية و الروائية لرفض الإحتلال و مكافحة قوي الظلم و العدوان و دعوة أبناء شعبه لمقاومتها.

التجربة الأدبية:

(اديب جزائري كتب الرواي والمسرح والشعر وعمل في الصحافة، وحظي بشهرة عربية و عالمية، لقب بـ "بني العصيان" و "الثوري المتمرد " و هو من بين الأدباء الأكثر إثارة للجدل في الجزائر، من أشهر أعماله رواية " نجمة " الّتي ترجمت لعدة لغات عالمية.

يعد من أكثر الكتاب إثارة للجدل في تاريخ الأدب الجزائري المعاصر، حيث كان مفكر احرا على الصعيد النظري و عبر أعماله الأدبية.

سخر قلمه خلال الثورة لمكافحة الإستعمار و سجن بسبب مواقفه الثورية المتمردة على الإستعمار.

خلال مسيرته قدم الكثير من الأعمال الروائية أهمها " نجمة" كتبها و عمره لا يتجاوز ال٢٨، و نجمة هي اسم المرإة الّتي أحبها لكنها كانت متزوجة من رجل آخر، و يصنف النقاد هذه الرواية على أنها من النوع الفاصل أي العمل الذي يحدث قطيعة بين الإنتاج الأدبي السابق و اللاحق، و هي رواية تاريخ ورصد للكفاح الجزائري أصدرها عام ١٩٥٦، و كانت في الأصل عبارة عن قصيدة بعنوان: " نجمة و السكين " صنعت الرواية الحدث الأدبي و الإعلامي، و ترجمت إلى عدة لغات عالمية، و باتت نصا مرجعيا في أعرق الجامعات العالمية [١٠].

توزع الإنتاج الأدبي لكاتب ياسين مابين الرواية و الشعر و المسرح، و من أهم أعماله: " دائرة الإنتقام "، " شارع النساء "، " المرصع بالنجوم "، " المضلع النجمي " (١٩٦٦)، " محمد...إحمل حقيبتك "، " فلسطين التي خانوها "، " الرجل ذو الحذاء المطاطي "، " الجثة المطوقة " (١٩٥٩)، " القدماء يضاعفون ضراوتهم "، " غبرة الذكاء "، " الف عذراء " (١٩٥٨)، و " أشعار الجزائر المضطهدة " (١٩٥٩).[١١]

رمز التواضع و الوطنية:

(رغم سطوح اسم كاتب ياسين في سماء الأدب سواء في الجزائر أو خارجها إلا أنه شديد التواضع والبساطة، يمقت التمجيد و يضيق ذرعا به، و يظهر ذلك حين قالت له ذات مرة صحفية فرنسية" أنت أديب عملاق " فرد عليها: " عملاق؟ بل قولي إني خرافة بالأحرى، كنت أمثل إلى حد الآن أحد جوانب استلاب الثقافة الجزائرية. كنت أسمي كاتبا كبيرا لأن فرنسا قررت ذلك. الحقيقة أن اسمي معروف كاسم لاعب كرة أو ملاكم، لكن كتبي لم تقل للشعب شيئا لأنه لم يقرأها " بهذه الكلمات الطافحة بالحسرة و المرارة أعلن كاتب ياسين عن خيبته الدفينة اتجاه واقع شعبه الذي لا يقرأ لأنه لا يعرف القراءة و الكتابة نتيجة سياسة التجهيل والتدجين و التجويع التي فرضها عليه المستعمر الفرنسي طيلة قرن و أزيد.. و بقدر ما كان صاحب " نجمة " بعيدا عن الغرور ملتصقا بشعبه محاورا لنبضه كانت التسميات والأوصاف تلاحقه، فثمة من وصفه بالديمقراطي، و هناك من أدعي أنه

اشتراكي أو شيوعي، و غير ذلك من الألقاب التي حاولوا إلصاقها به لكنه حسم الأمر حين قال: " الكاتب هو داخل الفوضى فوضويتها الأبدية ". و هي تسمية تنطبق عليه طبعا هو الذي يعد نفسه خارج أي تصنيف لأنه نذر نفسه و إبداعه للدفاع عن الكرامة الإنسانية و الحريات البشرية. وهو الذي فضل تحمل المضايقات و الضغوطات نتيجة آرائه و أفكاره النضالية و الوطنية على أن يتنازل لفرنسا أو غيرها.

"نجمة ".. كلمة لها معنى آخر إذا ما اقترنت باسم كاتب ياسين.. كلمة " نجمة " إلى عمل روائي اتفق النقاد على أنه الأبرز في تاريخ السرد و الجزائري و العربي.. ليس لأنها الأجمل أو الأروع فقط بل أنها رواية زاخرة بالأبعاد الأسطورية المذهلة.. مفعمة بالرموز المستعصية على التفكيك..

من تكون نجمة يا تري؟ أهي تلك المرأة الفاتنة التي أحبها الجميع، وسلبت لب كل من عرفها دون أن يفوز بها أحد.. أم ذاك الواقع الطاعن في الغموض والإثارة[١٢].

(من يقرأ روايظ نجمة " الطاغية في أبعادها و جمالياتها لا بد أن يتساءل إن كان كاتب ياسين اتخذها كرمز للجزائر.. أو كلحظة غامضة و مربكة حاول من خلالها أن يكشف ويحاور هذا العالم ويفضح بشاعته و زوره.. أم هي حالة شعرية ألمت بالكاتب فأفرزت هذا النص المنفتح على أفق عدة.. وقت كتابته لم تكن الجزائر تنعم بحريتها و استقلالها.. لم تكن أكثر من واقع يرزح تحت جحيم البوس الإستعماري.. لا يمكن لأي قارئ أن يستنتج من نجمة شيئا صريحا و واضحا.. و لا يمكنه القبض على أي حقيقة جلية أفصح بها الكاتب في نجمة.. هذا الغموض و هذه الألغاز التي تعج بها الرواية جعلت منها نصا سرابيا أقرب إلى الحلم منه إلى الحقيقة.. ما يقود القارئ إلى عوالم من متعة الدهشة ولذة السؤال.

وما يمكن استنتاجه من قراءة " نجمة " أنها روية فريدة في شاعريتها عنيفة في ألمها.. مثيرة في بعدها.. كتب كاتب ياسين " نجمة ". و هو في سن الثامن و العشرين و كان ذلك سنة ١٩٥٦ و لم يفرغ من كتابتها.. و من يقرأها يشعر أنه لم يكمل قراءتها.. هي نص مفتوح على الحياة بكل تناقضاتها وخيباتها و غرائبها.. نص تخمر في وجدان الكاتب فإذا هو قصيدة نثرية نسجتها ذاكرته و رصعتها هواجسه. وبان فيها تأثره بكتاب عالميين مثل جويس و فولكنر..".

" لم تكن كتابة نجمة سهلة أبدا.. أرقتني طويلا قبل أن تصبح أثرا منجزا.. كنت أمام اختيار صعب كيف أضع الجزائر في كتاب.. الجزائر القوية و الحية.. الثورة الحالمة.. الجزائر التي كان الآخرون لا يعرفون عنها شيئا سوي الإستقلال و سفك دماء شبابها.. "[١٣].

لا أصدق من هكذا اعتراف أدلي به كاتب ياسين إثر صدور رائعته "نجمة ". و ليس وحده من يقر بذلك.. كل من يقرأ هذه الرواية التحفة لا يسعه إلا أن يقر بذلك أيضا، لأنه يستنتج لا محالة أن كاتب ياسين لم يكن مقلدا في روايته " نجمة " بقدر ما كان ماهرا في توظيف جماليات فريدة و معولا على مخيال مذهل..

" نجمة " مقاطع مختارة

((فر " الأخضر " من زنزانته...

و بدا عند الفجر شبحه على العتبه فارتفعت رووس الحاضرين تستطلع الأمر دون أن يبد و عليهم كبير

تأثر.

تفحص " مراد " الهارب.

. لم تأت شيئاً عجباً. و سيقبضون عليك ثانيه.

. إنّهم يعرفون اسمك.

. ليست لي بطاقه هويه.

. سيأتون إلى هنا لإيقافك...

. اسكتوا... ولا تثبطوا عزيمتي...

انتفي النوم... و لمح الأخضر الزجاجه الفارغه، فسأ ل:

. أشربتم خمرا؟

. نعم و الفضل في ذلك لذي اللحيه.لقد خرج الساعه من هنا.

. أوليس لي الحق، أنا أيضا، أن أترفه؟

فقال مراد، مقترحا: اسمعوا، ما رأيكم لو بعنا سكيني؟

. فأيده أحدهم و قال: لابد أننا واجدون صبيا يشتري لنّا الخمر،

و لن يتصور أحد أن ذ لك لنا...))[١٤]

كان الأخضر في السجن، و كان الشجار قد أثار حفيظه كل أعوان الإداره، و جميع السكان بلا استثناء، و لا تمييز في الجنس أو الدين، كان الجميع يرون الغرباء قد بالغوا، و كان ما جدّ في اليوم الأوّل الذي بدأ الأخضر فيه العمل كافيا ليدينه كل القرويين في دخيله أنفسهم، و الواقع أنّه يمكن أن يقال الكثير عن تلك الإدانه... فهذا الحكم المتسرّع الشامل لا يمكن أن يفهم مسبّقا، إذ كان السيد " ارنست " معروفا بتصرفه المشين، و كان كل الناس في القريه يكرهونه علنا. و مع ذلك فإن تصرّف الأخضر معه أثار الإستنكار... و لعل أقرب تفسير من المعقول أن الناس - بما فيهم العمّال الذين كانوا عديد المرات ضحيحه تصرفات رئيس الفرقه المنكره - قد أحسّوا كرامتهم تخدش إذا رأوا غريبا، قدم من المدينه، فاستصفي - دونما تردّد - حساب معركه قديمه كانت تشتد و تحتدّ من يوم الآخر، فتتقلب قضيه بالنسبه إلى كل واحد منهم...[١٥]

نجمة.. جسد الجزائر:

"نجمة" كاتب ياسين شغلت العالم و الناس، هي روايـة في مسرح و مسرح في روايـة، هي تراجيديا موفورة الآلام. تجربة " نجمة " لم تكن في ألمها و غرابتها و غرائبيتها، إنما ايضا في سردها و قصها، شكل مشظي، أنس في حلقات الوصف يسردون موضوعاتهم أوهم الموضوعات. ليس من وجه حيرة أو تداع كاذب أو أسطرة مبالغ فيها مع ياسين أثناء الكتابة عنه، أو الكتابة فيه أن تتم اختزالية متسرعة في الحكم على منتوجه الأدبي، إذ أن ياسين كان يغذي فنتازما بالغ التأثير كما هو بالغ السخرية أحيانا، لقد كانوا يقولون و ظلوا يقولون إلى اليوم عن " نجمة " أنها الجزائر، أنها الجسد الجزائري و مآسيه في الأربعينيات أو ربما قبل، أنها المستقبل، أنها الهوية، أنها الإستبعاد، أنها الإنتهاك الإستشراقي، أنها الجثة المطوقة.[١٦].

(كانت النجمة تبكي، وهي تذكر رقه كمال، كمال الذي كان جالسا - عندئذ - بجوار أمّه المحتضرة، يحدثها عن زوجته العزيزة، نجمة، وعن قاعة الإستقبال المليئة أثاثا فاخرا،

وكان فيها مراد ومصطفي، و قد خانتهما الجرأه للتعليق على غياب الأخضر عنهما، منذ أن رن الجرس، كان مصطفي يدعو إلى الإنتظار.

أمّا مراد فقد غادر ا لمنزل صامتا.

طاف مراد بحانات المدينه العتيقه واحده واحده، وما إن ارتشف فنجان القهوة الأول حتى أفاق من سكره، وعاد يشرب ثانيه و أصرّ، و هو في الظلمه على تأويل كلام سيدي بومروان الملغز: أنّي أشهد أن بيت الله ملئ بالأسرار إنّه معلم عظيم يشعّ منه النور و إنّه ليكسف بنوره و بهائه الكواكب فتبدو دونه إن به تطلع كواكب السعد في عنابه...

كاتب ياسين: "تلك النار " يقول عن الجزائر:

تلك جزائرنا في أروع حريتها

كانت دوما حرّه الجزائر

سائده ساخره

سلحها الأعداء و باتو

سجناء شراك نصبوها

و أما الشعب الناهض في الفجر)[١٧]

يرى النقاد أن كاتب ياسين اتخذ من الشعر منبرا للتحاور مع التساولات المقلقة التي كان يعيشها الشعب الجزائري الراضخ تحت نير الإستعمار... و ذلك ما جعل أشعاره مفعمة بروح المقاومة ومشحونه بالأفكار و المعاني الإنسانية العميقة... لكن أشعاره ضاقت بحمولة ألمه وما عادت لها القدرة على استيعاب هموم شعبه فراحت تفقس هاجسها و تفرخ أحلامها في فضاءات نجمه العصية على التصنيف و التي تسببت في إحراج النمط الروائي الأروبي فشكلت بحق موعدا مع الدهشة و التفرد.[١٨]

شعر: كاتب ياسين[١٩]

كنت داخل جحر

مشدوه

بثعبان لا أعرفه

إنشغل

الحشد بمصيري، من حضوره الأول الثعبان سيدا

اقترب مني محارب قائلا: الثعبان يرقبك، و لا تنس بالأخص أن الحشد وراءك

اشتعل رأسي بهجه

سرت بحثا عن المحارب

لقد اختفي هو أيضا

عبرت مطولا الحشد

مفتقدا صداقه المحارب

أفنيت شبابي لهثا وراء الثعابين

من أشهر مسرحياته:

الجثه المطوقه – المرأه المتوحشه – حرب الألفي عام – ملك المغرب – الأجداد يزدادون ضراوه – تحت دائره القمع.[٢٠]

((استطاع كاتب ياسين من خلال " الجثه المطوقه " أن يعري للرأي العام العالمي حقيقه مأساه الجزائر.

و برهن أن فرنسا شنت حرب إباده على متظاهرين عزل فضحت و حشيتها و همجيتها. و بلغته الموثره و أسلوبه الثائر المميز و إحساسه الصادق تمكن من التعبير عن معاناه الشعب الجزائري الذي كان يصبو للحريه و الإنعتاق. كما عرفت مسرحياته انتشارا في الصحافه الأجنبيه. واحتفت بها كبريات خشبات المسارح العالميه. ايضا:

نجد في مسرحيه " الأجداد يزدادون ضراوه " أو بتعبير آخر " الأجداد يضاعفون من ضراوتهم " ربطا و ثيقا و ذكيا بين الحاضر و الماضي وبين ما يعيشه الشعب الجزائري اليوم و

ما عرفه الأجداد من عزه و مهابه فراح يبث فيهم العزيمه و يقوي روح النضال و المروءه لديهم.)) و يبرز كاتب ياسين من خلال هذه المسرحيات، " يملأ سماء الجزائر و أرضها روحا هائمه قلقه لا تجد الراحه وكأنّها قتيل تواني أحفاده عن الثأر له، فإذا به ينقلب عقابا يحوم فوق رووسهم ويحاصرهم ويسد عليهم الآفاق ويستصرخ فيهم المروءه والشرف وتكمل"[٢١].

النتيجة:

(فإذا أتينا إلى موضوع الهوية الجزائرية فإننا و لأسباب منطقية صرف، و لكي لا نوغل، بلا جدوي، في البحث في الحقب القديمة للتاريخ الجزائري، و لا ندخل في تفاصيل تاريخية نراها معروفة حتى بالنسبة لأطفال المدارس سننطلق في مناقشة هذا الموضوع بدءا من الغزو الستعماري الفرنسي للجزائر، و ذلك للأسباب التالية:

١- لأن تاريخ الجزائر، بالرغم من التشويه و التحريف الذي الحقه الإستعمار الفرنسي به كما سنبين فيما بعد فقد ظل تارخا معروفا للخاص و العام، لا مجال للإختلاف فيه بين الباحثين النزهاء و أصحاب الرأي الموضوعي و النظرة العلمية المتجردة من الأغراض.

٢- لأن الإستعمار الفرنسي هو الطرف الوحيد الذي أنكر هوية الشعب الجزائري، و جعل من ضمن مبررات غزوه للبلد أن الجزائريين لا يشكلون أمة واحدة و لا شعبا متجانسا، و إنما هم كما حاول أن يصورهم عبارة عن أعراق مختلفة و قبائل متفرقة و متناحرة.

٣- لأننا سنتخذ من فترة الإحتلال الفرنسي للجزائر منطلقا لمعالجة موضوع بحثنا الأساسي، ألا و هو الأدب الّذي كتبه الجزائريون باللغظ الفرنسية، ومن ثمة نبحث في الكيفية الّتي إنعكست بها مسألة الهوية فيه، انطلاقا من أن ذلك الأدب في حد ذاته هو احد نتائج تفاعلات الإحتلال على الصعيدين الثقافي و اللغوي.

عمد كاتب ياسين في كتاباته إلى تعريه الأساليب الوحشية للإستعمار بطريقة رمزية، وسخر إبداعه للدفاع عن هويته، وتجلى ذلك من خلال دواوينه الشعرية وأعماله الروائية والمسرحية واستطاعت كتاباته المفعمة بالمشاعر الصادقة و الروح الوطنية أن تفند التهم

والولاءات التي نسبها إليه بعضهم متغافلين عن دفاعه المستميت عن الهوية الجزائرية التي حاول الإستعمار طمسها. و يرى نفس الناقد أن قضية التصدي لتشويه الإستعمار الفرنسي للهوية الجزائرية، كانت هاجسا مركزيا في أغلب كتاباته منها " نجمة "، " الجثة المطوقة "، " الأجداد يزدادون ضراوة ".

فقد استطاع كاتب ياسين عبر هذه الرموز أن يلطّف من تعبيره عن هذه الحقيقة الموسفة المسيطرة على الجزائر، خاصة أنّ لغة الكاتب فيها لغة شعرية جميلة و أنّ المعاني التي أوردها الكاتب ضمن رموزه معان غزلية تدور حول علاقة الحب و قد اعتمد ليجلّي من خلالها معاني سياسية اجتماعية، يرمز كاتب ب "نجمة "عن الجزائر. من تكون نجمة يا تري؟

أهي تلك المرأة الفاتنة التي أحبها الجميع، وسلبت لب كل من عرفها دون أن يفوز به احد.. أم ذاك الواقع الطاعن في الغموض و الإثارة.

من يقرأ رواية " نجمة " الطاغية في أبعادها و جمالياتها لا بد أن يتساءل إن كان كاتب ياسين اتخذها كرمز الجزائر..

مقاطع مختاره من" نجمة " :

((فر " الأخضر " من زنزانته...

و بدا عند الفجر شبحه على العتبه فارتفعت رووس الحاضرين تستطلع الأمر دون أن يبد و عليهم كبير

تأثر.

تفحص " مراد " الهارب.

لم تأت شيئاً عجباً . و سيقبضون عليك ثانيه.

إنّهم يعرفون اسمك.

ليست لي بطاقه هويه.

سيأتون إلى هنا لإيقافك...

اسكتوا... ولا تثبطوا عزيمتي...

انتفي النوم... و لمح الأخضر الزجاجه الفارغه، فسأل:

أشربتم خمرا؟

نعم و الفضل في ذلك لذي اللحيه. لقد خرج الساعه من هنا.

أوليس لي الحق، أنا أيضا، أن أترفه؟

فقال مراد، مقترحا: اسمعوا، ما رأيكم لو بعنا سكيني؟

فأيده أحدهم و قال: لابد أننا واجدون صبيا يشتري لنّا الخمر،

و لن يتصور أحد أن ذ لك لنا...))

كاتب ياسين من جهته وقع في حيرة من أمره بين رسالة الإجتماعية، باعتباره كاتبا ملتزما يومن ب " حتمية " انتصار الثورة الإشتراكية العالمية، و يحتاج للتبشير بها في أوساط العمال و الفلاحين إلى لغة

تواصل بينه و بينهم، لكن حاجز الأمية كما يقول كان يقف حائلا بينه و بين جمهوره و لذلك قرر، بعد طول صمت دام ثلاثة عشر عاما، التخل نهائيا عن الكتابة بالفرنسية، لأنها غير مفهومة لدى الأغلبية الساحقة من الشعب الجزائري، و بالأخص لدى جمهور الفلاحين و العمال، الذي يتوجه إليه

بالخطاب، كما وقف موقف الرفض من استعمال اللغة العربية الفصحي، لأنّها هي أيضا غير المفهومة لأغلبية الشعب، و هي لغة أجنبية في نظره، مثل الفرنسية و لذلك اتجه منذ بداية سنوات السبعينيات إلى كتابة المسرحية باللهجة العامية الجزائرية.

كاتب ياسين، حظي بشهرة عربية و عالمية، لقب ب " بني العصيان " و " الثوري المتمرد " و هو من بين الأدباء لأكثر إثارة للجدل في الجزائر. من أشهر أعماله رواية " نجمة " التي ترجمت لعدة لغات عالمية.

قائمة المصادر والمراجع

١. قادري- فاطمه- سيري در تحول ادبيات معاصر الجزاير- يزد- دانشگاه يزد ١٣٨٨
٢. الخطيب، عماد على سليم، في الأدب الحديث و نقده، عمان، دارالمسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩
٣. نجمة، ترجمه محمد قوبعة، تونس، دار الرأس للنشر، ١٩٨٤
٤. قادري - فاطمه - سيري در تحول ادبيات معاصر الجزاير- يزد - دانشگاه يزد ١٣٨٨
٥. زهره ديك - من روائع الأدب الجزائري -للطباعه و النشر و التوزيع - الجزائر - دار الهدي ٢٠١٤
٦. http://ala3mal.wordpress.com/2013/3
٧. منور، أحمد، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، الجزاير، ديوان المطبوعات الجامعية ٢٠٠٧
٨. http://www.tebyan.net
٩. الدكتور عبد الرزاق قسّوم - مع الثورة الجزايرية -- القاهره - عالم الأفكار - الطبعة الأولى ٢٠٠٧
١٠. محمد الصالح الصديق - البعد الروحي في ثوره نوفمبر التحريريه - الجزائر - موفم للنشر ٢٠١٤
١١. عبد العزيز شرف - المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر- دارالجيل- بيروت للنشر -٢٠١٥
١٢. محمد لعبيدي - تاريخ الجزائر - دارالهدي للطباعة و النشر و التوزيع- ٢٠١٤
١٣. عبد الرزاق قسّوم - مع الثورة الجزائرية - عالم الأفكار للطباعة و النشر و التوزيع ٢٠٠٧-
١٤. عبدالرحمن، عائشه، قيم جديده للأدب العربي، القاهره، داراالمعارف، الطبعه الثانيه ١٩٧٠

المقالات:

١٥. حسن، حسن، كاتب ياسين و رحلةالبحث عن نجمة.

www.thawra.alwehha.org (٧/١٢/٢٠٠٦) خنفاوي، بعلي، مدينه عنابه، www.nu5ba.net ٢١/٩/٢٠١١

١٦. كحيل، عبدالعزير، كاتب ياسين عملاق أو وهم كبير، www.moheet.com/ ١٠/١/٢٠١٠

هوامش البحث

(١) المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر.تاليف: عبدالعزيز شرف - الناشر : دارالجيل - بيروت- رقم الطبعة: الأولي - الصفحة : ٢٥

(٢) المصدر نفسه، الصفحة : ٢٦

(٣) عبد العزيز شرف - المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر- دارالجيل- بيروت للنشر -٢٠١٥- الصفحة ٤٨

(٤) نفس المصدر - الصفحة ٦٩

(٥) زهره- ديك- من روائع الأدب الجزائري - دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع - الرقم التسلسلي: ٢٣- ٢٠١٤- الصفحة : ١٩٦

(٦) نفس المصدر - الصفحة : ١٩٧

(٧) نجمة، ترجمه محمد قوبعة، تونس، دار الرأس للنشر، ١٩٨٤

(٨) حسن، حسن، كاتب ياسين و رحله البحث عن نجمه

www.thawra.alwehha.org (٧/١٢/٢٠٠٦) خنفـــاوي، بعلـــي، مدينـــه عنابـــه، www.nu5ba.net ٢/٩/٢٠١١

(٩) زهره- ديك- من روائع الأدب الجزائري - دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع - الرقم التسلسلي ٢٣- ٢٠١٤ - الصفحة : ١٩٩

(١٠) منور، أحمد، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، الجزاير، ديوان المطبوعات الجامعية ٢٠٠٧ - الصفحة : ١٣٣

(١١) منور احمد ـ الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ٢٠٠٧ - الصفحة : ١٣١.

(١٢) زهره- ديك- من روائع الأدب الجزائري - دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع - ٢٠١٤- الصفحة : ٢٠٢

(١٣) نجمة، ترجمه محمد قوبعة، تونس، دار الرأس للنشر، ١٩٨٤- الصفحة : ٨٦

(١٤) زهره- ديك- من روائع الأدب الجزائري - دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع - - الصفحة ٢٠٨ إلى ٢٠٩

(١٥) المصدر نفسه، الصفحة ٣٤٨ إلى ٣٤٩

(١٦) زهره- ديك- من روائع الأدب الجزائري - دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع - الصفحة ٣٥٢

(١٧) المصدر نفسه، الصفحة : ٢٠٩ إلى ٢١١.

(١٨) منور احمد - الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ٢٠٠٧- الصفحة : ١٣٥

(١٩) زهره- ديك- من روائع الأدب الجزائري - دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع - الرقم التسلسلي - ٢٣- ٢٠١٤ - الصفحة : ٣٦٤إلي ٣٦٦

(٢٠) زهره- ديك- من روائع الأدب الجزائري - دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع - الرقم التسلسلي - ٢٣- ٢٠١٤ - الصفحة : ٣٥٦

(٢١) منور احمد - الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية - ٢٠٠٧- الصفحة : ١٣٨